

مظاهر التوحيد في التناصح الاجتماعي بين تفسيري؛ (في ظلال القرآن) و(الأمثل): دراسة مقارنة

هبة محمد ترخيني¹

الملخص

يتناول هذا المقال ظاهرة تراجع ثقافة التناصح في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، حيث تحوّلت النصيحة في كثير من الأحيان إلى عيب اجتماعي أو تدخل في الخصوصيات، أو على النقيض تحوّلت إلى تجريح وتنازع بالألقاب. وتبرز الحاجة الملحة إلى العودة إلى المصادر التفسيرية الأصيلة؛ لاستنباط الرؤية القرآنية لهذا المفهوم، بعيداً عن التحيزات الثقافية أو القراءات السطحية. ومن هنا، يسعى المقال إلى الإجابة عن الإشكالية المركزية: كيف يؤسس تفسيراً (في ظلال القرآن) لسيد قطب و(الأمثل) لناصر مكارم الشيرازي للتناصح باعتباره مظهراً توحيدياً ونضالياً، وما هي الآلية التي تحوّل النصيحة من علاقة فردية سطحية إلى نظام اجتماعي متكامل يعنى بمراقبة السلوك وتوجيه الجماعة؟

اعتمد المقال المنهج المقارن بين رؤيتي المفسرين، مع التركيز على البعدين التوحيدي والنضالي للتناصح الاجتماعي، وذلك من خلال تتبع آيات الأحكام والمواظ في التفسيرين، وتحليل أثر الخلفية الفكرية والزمنية لكل مفسر في صياغته لطبيعة التناصح. كما اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي في استقراء النصوص التفسيرية ذات الصلة، ثم المنهج المقارن لاستخراج نقاط التشابه والاختلاف بين الرؤيتين، مع العناية بتحديد المفاهيم الرئيسة (التوحيد، التناصح، الاجتماع، التفسير) لغوياً واصطلاحياً تمهيداً للتحليل. توصل المقال إلى أن التناصح عند سيد قطب يأخذ طابعاً حركياً تنظيمياً يرتبط ببناء الجماعة المؤمنة وقيادة الأمة ومواجهة التحديات، مع تحذير شديد من السكوت عن المنكرات، حيث يربطه بالمسؤولية الجماعية والعقاب الإلهي في الدنيا والآخرة. بينما يميل الشيرازي إلى تأصيله تشريعياً كنظام حقوقي وغطاء وقائي للمجتمع، مع تقديم حلول عملية مفصلة تركز على الرفق في النصيحة والتزكية الذاتية والطابع الكفائي والعيني للتناصح، وتحديد مجالات الشورى وحدودها. ويتفق المفسران على أن التناصح ركن أساسي في الإسلام، وعلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر الآلية الرئيسية له، مع اختلاف في المنهج والتفصيلات حيث يُقدّم قطب رؤية حركية شاملة ذات بُعد عقدي سياسي، بينما يُقدّم الشيرازي رؤية فقهية ذات بُعد تطبيقي.

الكلمات المفتاحية: التناصح، النضال الاجتماعي، التوحيد العملي، في ظلال القرآن، الأمثل.

المقدمة

لا تقوم المجتمعات على الأطر المؤسسية وحدها، بل تحتاج إلى منظومة أخلاقية حارسة ترعاها وتصحح مسارها. ومن أبرز عناصر هذه المنظومة في الإسلام (التناصح)، الذي يتجاوز كونه وصية أخلاقية إلى كونه نظاماً اجتماعياً قائماً على التوجيه المتبادل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فالتناصح يمثل العمود الفقري للعلاقات الاجتماعية في المنظور الإسلامي، إذ يضمن استمرارية التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، ويقي الجماعة من الانحرافات الأخلاقية والسلوكية التي قد تؤدي إلى تفككها وانهارها.

لكن الواقع المعاصر يشهد تراجعاً خطيراً في ثقافة التناصح، إذ تحولت النصيحة في كثير من الأحيان إلى عيب اجتماعي أو تدخل في خصوصيات الآخرين، أو على النقيض تحولت إلى تجريح وتنازع بالألقاب. وهذه المفارقة تستدعي العودة إلى المصادر التفسيرية لاستنبط الرؤية القرآنية الأصيلة لهذا المفهوم، بعيداً عن التحيزات الثقافية أو القراءات السطحية التي قد تفقد النص القرآني مضامينه العميقة. من هنا، يأتي هذا المقال ليُسَلِّط الضوء على مفهوم التناصح الاجتماعي في ضوء تفسيري (في ظلال القرآن) لسيد قطب و(الأمثل) لناصر مكارم الشيرازي، بوصفه أحد المظاهر الأساسية للتوحيد النضالي. وتبرز قيمة هذا المقال في كشفه عن الآلية التي تحول النصيحة من علاقة فردية سطحية إلى نظام اجتماعي متكامل يُعنى بمراقبة السلوك وتوجيه الجماعة، مما يساهم في حماية النسيج الاجتماعي من التفكك والفساد.

الإشكالية وأسئلة البحث

انطلاقاً من الملاحظة التي رصدتها المقدمة حول تراجع ثقافة التناصح في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ومن الحاجة الملحة إلى العودة إلى فهم النص القرآني عبر كبار المفسرين، تبرز الإشكالية المركزية التي يسعى هذا المقال إلى معالجتها، ويمكن صياغتها في السؤال التالي:

كيف يؤسس تفسيراً (في ظلال القرآن) لسيد قطب و(الأمثل) لناصر مكارم الشيرازي للتناصح باعتباره مظهراً توحيدياً ونضالياً، وما هي الآلية التي تحول النصيحة من علاقة فردية سطحية إلى نظام اجتماعي متكامل يُعنى بمراقبة السلوك وتوجيه الجماعة؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية، منها:

١. ما هو المظهر التوحيدي للتناصح الاجتماعي كما ورد في التفسيرين، وكيف يُستمد التناصح من صميم العقيدة؟

٢. ما هو المظهر النضالي للتناصح الاجتماعي في كل من التفسيرين، وكيف يمكن للنصيحة أن تتحول إلى موقف جماعي مناهض للظلم والانحراف؟

٣. ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين قطب والشيرازي في فهم طبيعة التناصح، وكيف أثرت الخلفية الفكرية والزمنية لكل مفسر في صياغته لهذا المفهوم؟

أهداف البحث

يسعى هذا المقال لتحقيق الأهداف الآتية:

١. التعرف على المظهر التوحيدي للتناصح الاجتماعي كما يقدمه تفسيراً (في ظلال القرآن) (والأمثلة)، وبيان كيف يُستمد التناصح من صميم العقيدة، وكيف يرتبط بمسألة الأمانة الإلهية والتزكية الذاتية والمسؤولية الجماعية.
٢. التعرف على المظهر النضالي للتناصح الاجتماعي، وإظهار كيف يمكن للنصيحة أن تتحول إلى موقف جماعي مناهض للظلم والانحراف، من خلال آليات التواصل بالحق والصبر والمرحمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٣. مقارنة مفهوم التناصح بين قطب والشيرازي، والكشف عن نقاط الاتفاق والاختلاف في الرؤية، مع تحليل كيفية تعامل كل منهما مع النصوص القرآنية ذات الصلة.
٤. تحليل أثر الخلفية الفكرية والزمنية لكل مفسر في صياغته لطبيعة التناصح، وكيف انعكس ذلك على منهج كل منهما في التفسير والاستنباط.
٥. تقديم تصور عملي يُمكن من استعادة ثقافة التناصح في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، بما يحقق النهضة والإصلاح، من خلال الاستفادة من الرؤى التفسيرية للمفسرين.

المطلب الأول: التأصيل المفاهيمي للتناصح الاجتماعي

إنَّ تحديد المفاهيم الرئيسة التي ترتبط بعنوان المقال يُمثِّل خطوة تأسيسية لا غنى عنها في أيِّ دراسة علمية رصينة؛ إذ يتيح بناء إطار نظري متماسك يُوَجِّه عملية التحليل ويمنع الالتباس في الفهم والاستنتاج. فلا يمكن فهم التناصح الاجتماعي في ضوء التفسيرين دون الوقوف بدقة على المعاني اللغوية والاصطلاحية للألفاظ المحورية التي يقوم عليها البحث، وهي: التوحيد، والتناصح، والاجتماع، والتفسير.

أولاً: مفهوم التوحيد

لغة: عرّف الفراهيدي التوحيد بقوله: «التوحيد: مصدر وحّد، إنَّ كلمة التوحيد من فعل وحّد، وتعني الجمع والاستفراد بشيء واحد وعدم تعدّده» (الفراهيدي، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٩٨). وهذا التعريف اللغوي يُشير إلى المعنى الأساسي للتوحيد وهو الأفراد والجمع، مما يدل على أن التوحيد في جوهره يعني إفراد الله بالعبادة والطاعة، وجمع القلوب على ذلك.

اصطلاحاً: عرّفه الخميني بقوله: «التوحيد يعني أنّ صفات الله عين ذاته، وليست زائدة عليها» (الخميني، ١٩٩٠م، ص ٨٤). وهذا التعريف يُعمق البعد العقدي للتوحيد، ويُشير إلى أن التوحيد ليس مجرد اعتقاد نظري، بل هو رؤية متكاملة للوجود تتسحب على جميع جوانب الحياة، بما في ذلك الجانب الاجتماعي والسياسي. فالتوحيد بهذا المعنى يُشكل الأساس الذي تُبنى عليه منظومة التناصح الاجتماعي، حيث يستمد الفرد والمجتمع مشروعية النصح والإنكار من إخلاص العبودية لله وحده.

ثانياً: مفهوم التناصح

لغة: عرّف الفراهيدي التناصح بأنّه: «النصيحة المتبادلة بين الناس، أي تقديم المشورة والإرشاد للآخرين بما فيه صلاحهم، ويقال: ناصح الرجل صاحبه أي أعطاه نصيحة صادقة» (الفراهيدي، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٢٥٦). ويبرز هذا التعريف اللغوي عنصر التبادل والإخلاص في النصيحة، مما يُشير إلى أن التناصح ليس فعلاً فردياً من طرف واحد، بل هو علاقة متبادلة تقوم على الصدق والإخلاص بين أفراد المجتمع.

اصطلاحاً: عرّف الكليني التناصح بأنّه: «تبادل النصيحة بين المؤمنين بإخلاص، بهدف إصلاح الدين والدنيا، وهو من أعلى مراتب الأخوة الإيمانية» (الكليني، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ١٩٩). وهذا التعريف يُضيف بُعداً إيمانياً وأخوياً للتناصح، حيث يجعله من أعلى مراتب الأخوة، مما يدل على أن التناصح ليس مجرد سلوك اجتماعي عادي، بل هو عبادة وقربة إلى الله، ووسيلة لتحقيق التضامن والتكافل بين المؤمنين. وعرفه إميل دوركهايم بقوله: «التناسح يُعدّ شكلاً من أشكال التضامن العضوي، حيث يتبادل الأفراد النصح والإرشاد لتحقيق التكامل الوظيفي في المجتمع» (دوركهايم، ٢٠١٠م، ص ١٢٢). وهذا التعريف الاجتماعي يُكمل الصورة، حيث يُشير إلى الوظيفة الاجتماعية للتناصح في تحقيق التكامل والانسجام بين أفراد المجتمع، مما يجعله عنصراً أساسياً في استقرار الجماعة واستمراريتها.

ثالثاً: مفهوم الاجتماع

لغة: عرّف الزبيدي الاجتماع بقوله: «الاجتماع ضد الافتراق، ويقال: اجتمع القوم إذا التأموا، وجَمَعَهُم الأمر جمعاً» (الزبيدي، ١٩٨٣م، ج ٤، ص ٢١٣). ويُشير هذا التعريف إلى أن الاجتماع هو تقيض التفرق والشتات، وهو حالة من الاندماج والالتزام بين الأفراد، مما يُشكل الأساس لقيام المجتمعات والجماعات.

اصطلاحاً: عرّفه محمد باقر الصدر بقوله: «الاجتماع البشري يقوم في الفكر الشيعي على أسس التوحيد والنبوة والإمامة، ويفشل إذا غابت عنه القيادة الشرعية العادلة» (الصدر، ١٩٨٠م، ص ١٠٩). وهذا التعريف يُبرز الأركان العقدية للاجتماع البشري في المنظور الإسلامي، حيث يربط بين قيام المجتمع واستمراره وبين الالتزام بالمبادئ التوحيدية والنبوية والإمامية. وعرفه نبيل عبد الهادي بقوله: «الاجتماع هو نسق من العلاقات المنظمة التي تنشأ عن التفاعل بين الأفراد داخل المجتمع» (عبد الهادي، ٢٠٠٤م،

ص ٢٣). وهذا التعريف يُركز على الجانب التفاعلي والتنظيمي للاجتماع، مما يُشير إلى أن التناصح يُمثل أحد أهم أشكال هذا التفاعل المنظم الذي يضمن استمرارية المجتمع وصلاحه.

رابعاً: مفهوم التفسير

لغة: عرّف الراغب الأصفهاني التفسير بأنه: «كشف المراد عن اللفظ الغريب، أو ما يغمض من الكلام، ويفترق عن التأويل بأن التأويل أعمّ منه» (الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩م، ص ٣٧٤). ويُحدد هذا التعريف الفرق بين التفسير والتأويل، حيث يُشير إلى أن التفسير يختص بكشف المعاني الظاهرة للألفاظ، بينما التأويل أعم وقد يشمل المعاني الباطنة.

اصطلاحاً: عرّف الخوئي التفسير بقوله: «التفسير هو كشف المراد من اللفظ القرآني، بحسب ما يدل عليه ظاهر اللفظ» (الخوئي، ١٩٩١م، ص ١٥). وعرّفه الطوسي بقوله: «التفسير هو بيان معاني القرآن الكريم واستخراج أحكامه ودقائقه» (الطوسي، ١٤٠٩هـ ج ١، ص ٦). وهذان التعريفان يُكملان بعضهما، حيث يُشيران إلى أن التفسير هو عملية بيان وكشف لمعاني القرآن وأحكامه، مما يجعل دراسة تفسيري (في ظلال القرآن) و(الأمثل) أمراً ضرورياً لفهم كيفية تعامل المفسرين مع قضايا التناصح الاجتماعي واستنباطهم للأحكام والمواظب المتعلقة به.

المطلب الثاني: المظهر التوحيدي للتناصح الاجتماعي

لقد تناول كلا من المفسرين المظهر التوحيدي للتناصح الاجتماعي، وسنعرض بعض ما جاء في تفسيريهما بخصوص هذا المظهر، مع التحليل والتفصيل. فالمظهر التوحيدي يعني كيف يُستمد التناصح من صميم العقيدة الإسلامية، وكيف يرتبط بإخلاص العبودية لله، وكيف يُصبح ممارسة عملية للتوحيد في واقع الحياة الاجتماعية.

أولاً: عند سيد قطب

لقد اعتبر سيد قطب عند تناوله للآية المباركة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) (سورة النساء: ٥٨)، أن أمانة النصيحة للراعي والرعية، وأمانة القيام على الأطفال الناشئة، وأمانة المحافظة على حرّامات الجماعة وأموالها ونعراتها هي من الأمانات التي لا بُدَّ من مراعاتها إلى جانب أمانة المعاملات والودائع المادية (سيد قطب، ١٤١٤هـ ج ٢، ص ٦٨٩، برقم الصفحة من الرسالة: ٨). وهذا يُشير إلى أن التناصح عند قطب يُعد من الأمانات الإلهية العظيمة التي يجب على المسلم أن يؤديها بحذافيرها، فهي ليست مجرد وصية أخلاقية، بل هي تكليف إلهي يرتبط بمسؤولية الفرد تجاه المجتمع ككل.

وعند تناوله للآية المباركة: (وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ) (سورة فاطر: ١٨)، اعتبر سيد أن من واجب الفرد أن ينصح، وأن يحاول الإصلاح غاية جهده، فإذا قام بقسطه هذا فلا عليه من السوء في الجماعة التي

يعيش فيها، فإنّما هو محاسب على إحسانه، وكذلك لن ينفعه صلاح الجماعة إذا كان هو بذاته غير صالح (سيد قطب، ١٤١٤هـ ج ٥، ص ٢٩٣٨، برقم الصفحة من الرسالة: ٨). وهنا يُبرز قطب البعد الفردي للتناصح، حيث يُشير إلى أن كل فرد مسؤول عن نفسه وعن نصيح الآخرين، وأن التزكية الذاتية مرتبطة بالتناصح، فلا يمكن للمرء أن يزكي نفسه دون أن يقوم بواجب النصيح والإصلاح تجاه الآخرين.

في المقابل، اعتبر سيد أنّه من الوزر إهمال التناصح والأخذ على يد البغي والشرّ، وذلك عند تفسيره للآية المباركة: (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا) (سورة الشمس: ١٤)، حيث أنّهم حملوا جميعاً التبعة، وعدّوا أنّهم عقروا الناقة؛ وذلك لأنّهم لم يضربوا على يده، بل استحسنوا فعلته، وهذا مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية في التكافل في التبعة الاجتماعية في الحياة الدنيا (سيد قطب، ١٤١٤هـ ج ٦، ص ٣٩١٩، برقم الصفحة من الرسالة: ٨). ويُعد هذا الموقف من أهم المواقف التفسيرية عند قطب، حيث يؤسس لمبدأ المسؤولية الاجتماعية والتكافل في التبعة، بحيث يُحاسب المجتمع كله على انحرافه إذا سكت عن المنكر، وهذا يُعطي التناصح بُعداً توحيدياً عميقاً، لأنّه يرتبط بالعدالة الإلهية والعقاب الجماعي.

وأما بالنسبة لكيفية التناصح، فقد ذكر سيد عند تفسيره للآية المباركة: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (سورة النحل: ١٤٥)، أنّه يكون بالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتعمّق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب من غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، مضيفاً أنّ الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب (سيد قطب، ١٤١٤هـ ج ٤، ص ٢٢٠٢، برقم الصفحة من الرسالة: ٨). وهذا يُشير إلى أن المنهج التوحيدي في التناصح عند قطب يقوم على الرفق والحكمة، وليس على العنف أو التوبيخ، مما يعكس فهمه العميق للطبيعة البشرية ولأسلوب القرآن في الدعوة والإصلاح.

ثانياً: عند ناصر مكارم الشيرازي

ذكر الشيرازي في تفسيره للآية المباركة: (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً) (سورة مريم: ٣٢)، أنّ بعض المفسرين اعتبروا أنّ صفة (الشقي) تستعمل للشخص الذي لا يقبل النصيحة، بالإضافة إلى أنّها تستعمل للذي يهين أسباب البلاء والعقاب لنفسه (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٩، ص ٤٣٨، برقم الصفحة من الرسالة: ٨)، ويحمل هذا التفسير في طياته دعوة للتناصح، حيث يُشير إلى أن رفض النصيحة هو من علامات الشقاء، مما يعني أن قبول النصيحة والتناصح هو من علامات السعادة والتوفيق الإلهي.

إنّ التناصح يبقى مطلوباً حتّى مع احتمال عدم التأثير، وهذا ما أكّد عليه عند تفسيره للآية المباركة: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ) (سورة

الأعراف: ١٦٤)؛ حيث رأى أنَّ الواعظين ينصحون العصاة لهدفين: أولاً، حتَّى يكونوا معذورين عند الله. وثانياً، عسى أن يؤثرُوا في نفوس العصاة، إذا كانوا لا يحجمون عن الوعظ والنصيحة في حين أنَّ المعروف هو أنَّ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروطان باحتمال التأثير (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٥، ص ٢٦٦، برقم الصفحة من الرسالة: ٨). وهذا يُبرز الجانب التوحيدي في التناصح عند الشيرازي، حيث يجعله واجباً دينياً حتَّى لو لم يتحقق الأثر المطلوب، وذلك لأن الغاية منه هي إقامة الحجة على العباد وإخلاص النية لله، وليس بالضرورة تحقيق النتيجة المرجوة في الدنيا.

بالمقابل، وفي تفسيره للآية المباركة: (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) (سورة الزمر: ١٥)، ذكر أنَّ عبارة (فاعبدوا ما شئتم) جاءت بصيغة أمر تهديدي، وهذا الأسلوب يستعمل عندما لا تؤثر النصيحة والموعظة بالشخص المجرم والمذنب، إذ أن آخر ما يقال له: (افعل ما تشاء، ولكن انتظر العقاب أيضاً) ويعني أنك وصلت إلى درجة لا تستحقَّ معها النصيحة والموعظة، وأنَّ مصيرك وعلاجك هو العذاب الأليم (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ١٥، ص ٤٥، برقم الصفحة من الرسالة: ٩). وهذا الموقف يكتمل الرؤية التوحيدية عند الشيرازي، حيث يُشير إلى أن للتناصح حدوداً، فإذا وصل المذنب إلى درجة لا يؤثر فيه النصيح، فإن الله يتولى حسابه، وهذا يُبرز عدالة الله ورحمته، حيث لا يُكلف أحداً فوق طاقته.

وأما بالنسبة لكيفية التناصح، فقد أشار إلى ذلك في تفسيره للآية المباركة: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (سورة النحل: ١٤٥)، حيث اعتبر أنَّ الخطوة الثانية، بعد الحكمة، في طريق الدعوة إلى الله هي الموعظة الحسنة، وذلك لما للموعظة الحسنة من أثر دقيق وفاعل على عاطفة الإنسان وأحاسيسه، وتوجيه مختلف طبقات الناس نحو الحق، وذكر أيضاً بأنَّ تقيد (الموعظة) بقيد (الحسنة) إشارة إلى أنَّ النصيحة إنما تؤدي فعلها إذا خليت من أية خشونة أو استعلاء وتحقير، وهكذا يترتب الأثر الإيجابي العميق للموعظة إذا كانت (حسنة) (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٨، ص ٣٦٤-٣٦٥ بتصرف، برقم الصفحة من الرسالة: ٩). ويتفق الشيرازي مع قطب في أهمية الرفق والحكمة في النصيحة، لكنه يُفصّل أكثر في الجانب المنهجي، ويُشير إلى ضرورة تجنب الخشونة والاستعلاء، مما يُعكس اهتمامه بالجانب التربوي والنفسي في عملية التناصح.

المطلب الثالث: المظهر النضالي للتناصح الاجتماعي

لقد تطرّق المفسران لموضوع التناصح الاجتماعي بمظهره النضالي في تفسيريهما، وسنعرض لكم بعض النماذج مع التحليل والتفصيل. فالمظهر النضالي يعني كيف يتحول التناصح من مجرد توجيه فردي إلى موقف جماعي مناهض للظلم والانحراف، وكيف يُصبح أداة للتغيير والإصلاح في المجتمع.

أولاً: عند سيد قطب

ذكر سيد قطب أنَّ النصيحة حقٌّ وواجب للمسلم على المسلم، وذلك عند تناوله للآية المباركة: (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (سورة الأعراف: ١٤٢)، وأشار إلى أنَّ موسى يعلم أنَّ هارون نبيٌّ مرسل من ربه معه، وقد تلقى هارون النصيحة ولم تثقل على نفسه، معتبراً أنَّ النصيحة تثقل على نفوس المتكبرين الصغار الذين يحسّون في النصيحة تنقصاً لأقدارهم (سيد قطب، ١٤١٤هـ ج ٣، ص ١٣٦٨، برقم الصفحة من الرسالة: ٩). ويُشير قطب من خلال هذا الموقف إلى أن قبول النصيحة يتعلق بالتواضع والإيمان، وأن الكبر هو العائق الأساسي أمام قبول النصيح، مما يُحول التناسخ إلى معركة ضد الكبر والاستكبار في المجتمع.

وركّز على أهمية التناسخ أيضاً عند تفسيره للآية المباركة: (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (سورة العصر: ٣)، حيث اعتبر أنَّ التواصي بالحق والتواصي بالصبر كلاهما، حيث تبرز من خلالهما صورة الأمة المسلمة - أو الجماعة المسلمة - ذات الكيان الخاص، والرابطة المميزة، والوجهة الموحدة. الجماعة التي تشعر بكيانها كما تشعر بواجبها، فتتواصى فيما بينها بما يعينها على النهوض بالأمانة الكبرى (سيد قطب، ١٤١٤هـ ج ٦، ص ٣٩٦٧-٣٩٦٨ بتصرف، برقم الصفحة من الرسالة: ٩). وهذا النص يُعد من أهم النصوص التأسيسية للرؤية النضالية عند قطب، حيث يربط بين التواصي بالحق والتواصي بالصبر وبين بناء الجماعة المسلمة ذات الكيان الخاص، مما يُشير إلى أن التناسخ ليس مجرد سلوك فردي، بل هو أساس لتكوين الجماعة وقيادتها ونهوضها بأمانتها.

وتناول سيد موضوع التواصي أيضاً، عند تفسيره للآية المباركة: (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) (سورة البلد: ١٧)، معتبراً أنَّ التواصي بالمرحمة هو أمر زائد على المرحمة، فهو إشاعة الشعور بواجب التراحم في صفوف الجماعة عن طريق التواصي به، والتحااض عليه، واتخاذها واجباً جماعياً فردياً في الوقت ذاته، يتعاون عليه الجميع (سيد قطب، ١٤١٤هـ ج ٦، ص ٣٩١٣، برقم الصفحة من الرسالة: ٩). ويُضيف قطب هنا بعداً جديداً للتناسخ، وهو التواصي بالمرحمة، الذي يُشير إلى أن التناسخ لا يقتصر على النصيح في الأمور الدينية أو الدنيوية، بل يشمل أيضاً حث الناس على التراحم والتكافل، مما يُعزز التماسك الاجتماعي ويُقوي الروابط بين أفراد المجتمع.

وفي تناوله للآية المباركة: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ) (سورة النساء: ٣٤)، أكّد سيد على أنَّ الموعظة هي أول واجبات القيم ورب الأسرة، وهي عمل تهنديي مطلوب منه في كلّ حالة، ولكن في هذه الحالة بالذات، يتّجه اتجاهها معيناً لهدف معيّن، وهو علاج أعراض النشوز قبل أن تستفحل وتستعلن (سيد قطب، ١٤١٤هـ ج ٢، ص ٦٥٣-٦٥٤ بتصرف، برقم الصفحة من

الرسالة: ٩). ويُطبق قطب مبدأ التناصح على المستوى الأسري، مُشيراً إلى أن الموعظة هي الخطوة الأولى في علاج الانحرافات الأسرية، مما يُعكس شمولية التناصح في المنظور القرآني، حيث يبدأ من الأسرة ثم يمتد إلى المجتمع والأمة.

ومن خلال الآية المباركة: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (سورة آل عمران: ١١٠)، رأى سيد أن الله تعالى يعرّف المسلمين حقيقة مكانهم في هذه الأرض، وحقيقة دورهم في حياة البشر، فيدلّهم بهذا على أصالة دورهم، وعلى سمة مجتمعهم (سيد قطب، ١٤١٤هـ ج ١، ص ٤٣٢، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠)، وأنّ على الأمة المسلمة أن تعرف أنّ من واجبها أن تكون في الطليعة دائماً، وفي مركز القيادة دائماً، وأن تكون لها القوة التي تُمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (سيد قطب، ١٤١٤هـ ج ١، ص ٤٤٧، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠). ويُعد هذا الموقف تويجاً للرؤية النضالية عند قطب، حيث يربط بين خيرية الأمة وبين قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُشير إلى أن هذا الواجب يتطلب القوة والقيادة، مما يُعطي التناصح بُعداً سياسياً ونضالياً واضحاً.

ثانياً: عند ناصر مكارم الشيرازي

لقد أشار الشيرازي إلى موضوع التناصح الاجتماعي عند تفسيره للآية المباركة: (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا) (سورة النساء: ٨٥)، وأوضح أنّ هذه الآية تُبيّن اهتمام القرآن بنشر الروح الاجتماعية لدى المسلمين، ودعوتهم إلى نبذ الأنانية أو الانطوائية، وإلى عدم تجاهل الآخرين، وذلك من خلال التواصي بالخير والحق والتحذير من الشرّ والباطل (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٣، ص ٣٥٥، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠). وعن معنى كلمة (الشفاعة) التي وردت في الآية المباركة، رأى أنّها من (الشفع)، وهو ضمّ الشيء إلى مثله، وقد يكون هذا الضمّ أحياناً في عمل الإرشاد والهداية، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكون الشفاعة السيئة أمراً بالمنكر ونهيّاً عن المعروف. مضيفاً أنّ الشفاعة قد تحصل قبل القيام بممارسة الذنب، فتعني الإرشاد والنصح، كما تحصل بعد ارتكاب الذنب أو الخطأ، وتعني إنقاذ المذنب من عواقب ونتائج جريته، والمعنى المراد في الآية مورد البحث هو المعنى الثاني (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٣، ص ٣٥٦، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠). ويُقدم الشيرازي من خلال هذا التفسير رؤية متكاملة للشفاعة كشكل من أشكال التناصح، حيث يُشير إلى أن التناصح يشمل الإرشاد والنصح قبل وقوع الخطأ، وإنقاذ المذنب بعد وقوعه، مما يُوسع دائرة المسؤولية الاجتماعية.

وعن معنى التواصي الوارد في الآية المباركة: (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) (سورة البلد: ١٧)، قال إنّها تعني تبادل التوصية، ولها دلالة اجتماعية مهمة، هي أنّ عملية التواصي بالسير على طريق الحق

وبالاستقامة على طاعة الله ومكافحة جموح الأهواء النفسية، وبالحب والرحمة ليست عملية فردية بل يجب أن يتخذ طابعاً اجتماعياً عاماً في كل المجتمع الإيماني، وكل الأفراد مسؤولون أن يوصي بعضهم الآخر بحفظ هذه الأصول، وعن هذا الطريق أيضاً تتعمق عرى التلاحم والاجتماعي (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٢٠، ص ٢٢٤، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠). ويتفق الشيرازي مع قطب في التأكيد على الطابع الاجتماعي للتواصي، لكنه يُضيف بُعداً نفسياً وتربوياً، حيث يُشير إلى أن التواصي يساهم في تعميق عرى التلاحم بين أفراد المجتمع.

وضمن السياق نفسه، أشار في بحث له بعنوان (منهج السعادة ذو المواد الأربع)، إلى أن التواصي بالحق والتواصي بالصبر هما الأصلان الثالث والرابع من أصول منهج السعادة، فعبارة (التواصي بالحق) تعني الدعوة العامة إلى الحق، ليميز كل أفراد المجتمع الحق من الباطل، وتحمل معنى واسعاً يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشمل أيضاً تعليم الجاهل وإرشاده، وتبنيه الغافل، والدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، والمتواصون بالحق يجب أن يكونوا بدورهم من العاملين به، والمدافعين عنه. وعن التواصي بالصبر قال: «إنه ومن دون الاستقامة والصبر لا يمكن المواصلة في إحقاق الحق والعمل الصالح والثبات على الإيمان» (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٢٠، ص ٤٣٦-٤٣٨، بتصرف، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠). ويُعمق الشيرازي من خلال هذا النص العلاقة بين التواصي والسعادة، حيث يجعله أساساً من أسس السعادة الإنسانية، مما يُعطي التناصح بُعداً وجودياً وإنسانياً، وليس مجرد واجب ديني أو اجتماعي.

وعن مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، استفاض الشيرازي في الحديث عنها عند تناوله للآية المباركة: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (سورة آل عمران: ١٠٤)، واعتبرها بمثابة غطاء وقائي اجتماعي لحماية الجماعة وصيانتها، ودستور أكيد للأمة الإسلامية (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٢، ص ٦٢٨، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠). ويُشير الشيرازي إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مجرد واجب، بل هو غطاء وقائي يحمي المجتمع من التفكك والفساد، مما يُعطي التناصح بُعداً استباقياً وقائياً.

وفي بحث له بعنوان (الدعوة إلى الحق ومكافحة الفساد)، أجاب على الأسئلة التي قد تتبادر إلى الذهن بخصوص مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسنعرض النقاط المهمة التي عالجه، والتي تخدم البحث: بالنسبة لتسمية المعروف، قال: «سُمي كذلك؛ لأنَّ الفطرة الإنسانية الطاهرة تعرفه، وسُمي المنكر بهذا الاسم؛ لأنَّ الفطرة تنكره» (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٢، ص ٦٣١، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠). أما بالنسبة لعبارة (منكم أمة)، قال: «إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما واجبان

كفائتان لا عينيّان، ولكن يُستفاد من آيات أخرى وردت عن هذه المسألة أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرحلتين: المرحلة الفردية التي يجب على كلّ واحد القيام بها بمفرده، إذ يجب عليه أن يراقب تصرّفات الآخرين، وهذا واجب عيني، والمرحلة الجماعية وهي التي تعتبر من مسؤولية الأمة بما هي أمة، حيث يجب عليها أن تقوم بمعالجة كلّ الإعوجاجات والانحرافات الاجتماعية، وتضع حدّاً لها، بالتعاون بين أفرادها وأعضائها كافة، وهذا الواجب كفائي» (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٢، ص ٦٣٠، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠). ويُقدّم الشيرازي هنا تفصيلاً فقهيّاً مهماً للتناصح، حيث يُفَرِّق بين الواجب العيني (الذي يخص كل فرد) والواجب الكفائي (الذي يخص الأمة ككل)، مما يُعكس منهجه الفقهي التطبيقي في معالجة القضايا الاجتماعية.

وذكر بأنّ كلّ ضرر فردي يمكن أن ينقلب إلى ضرر اجتماعي، ولهذا يؤكّد العقل والمنطق السليم لأفراد المجتمع بأن لا يألوا جهداً في الإبقاء على سلامة البيئة الاجتماعية وطهارتها من كلّ دنس (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٢، ص ٦٣٢، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠). وهذا يُشير إلى أن الشيرازي يُدرك العلاقة الجدلية بين الفرد والمجتمع، حيث يُشدّد على أن الانحرافات الفردية قد تتحول إلى أزمات اجتماعية، مما يستوجب التناصح كآلية وقائية.

وفي سؤال طرحه عمّا إذا كانت هذه المسألة توجب سلب الحريات الفردية، رأى بأنّ مصائر الأفراد ترتبط ببعضها في الحياة الاجتماعية، ويؤثر بعضها في بعض بمعنى أنّ الجميع في الحياة الاجتماعية يشتركون في مصير واحد. لذلك، كان حقّ النظارة على تصرّفات الآخرين وسلوكهم حقّاً طبعياً تقتضيه الحياة الجماعية، وبالتالي لا ينافي الحريات الفردية فحسب، بل هو وظيفة كلّ فرد تجاه الفرد الآخر؛ لأنّ من شأنه الإبقاء على سلامة الآخرين واستقامة أمورهم، ومن ثمّ سلامة الفرد نفسه واستقامة أمره (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٢، ص ٦٣٤، برقم الصفحة من الرسالة: ١١). ويُعالج الشيرازي هنا إشكالية العلاقة بين التناصح والحرية الفردية، مؤكداً أنّ التناصح لا ينافي الحرية، بل هو ضرورة اجتماعية للحفاظ على سلامة المجتمع، مما يُعكس توازنه بين الحقوق الفردية والواجبات الاجتماعية.

وأكد على أنّ مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عيني، في بحث آخر له بعنوان (تعليم وتربية العائلة)، حيث اعتبرها فريضة عامة على جميع الناس ولا تخصّ بعضاً دون آخر، غير أنّ مسؤولية الإنسان تجاه زوجته وأبنائه أكد من غيرها وأشدّ إلزاماً، كما يتجلّى ذلك بشكل واضح من الروايات الواردة في مصادر عديدة، وكذلك الآيات السابقة التي تدعو الإنسان لأن يبذل أقصى جهده لتربية أهله وتعليمهم، ونهيهم عن ارتكاب الذنوب وحثّهم على اكتساب الخيرات، مشيراً إلى أنّ الاهتمام بالعائلة وتربيتها تربية إسلامية صحيحة سيجعل أمر إصلاح المجتمع أسهل وأيسر (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ١٨،

ص ٤٦٠، برقم الصفحة من الرسالة: ١١). ويُطبّق الشيرازي مبدأ التناصح على المستوى الأسري، مؤكداً أن مسؤولية الفرد تجاه أسرته أكبر من مسؤوليته تجاه المجتمع، مما يُعكس رؤيته الفقهية التي تبدأ من الأسرة ثم تمتد إلى المجتمع.

وفي حديثه عن مسألة الشورى في الآية المباركة: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (سورة آل عمران: ١٥٩)، قال: «إنّ الله تعالى أمر نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم بأن يشاور المسلمين في الأمر ويقف على وجهات نظرهم، وذلك إحياءً لشخصيتهم، ولبّت الروح الجديدة في كيانهم الفكري والروحي» (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٢، ص ٧٤٨، برقم الصفحة من الرسالة: ١١). وفي الآية المباركة (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) (سورة الشورى: ٣٨)، اعتبرها أهم قضية اجتماعية؛ لأنّه من دونها تعتبر جميع الأعمال ناقصة، فالإنسان الواحد مهما كان قوياً في فكره وبعيداً في نظره، إلّا أنّه ينظر للقضايا المختلفة من زاوية واحدة أو عدّة زوايا، وعندها ستختفي عنه الزوايا والأبعاد الأخرى (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ١٥، ص ٥٥١، برقم الصفحة من الرسالة: ١١)، إلّا أنّه وعند التشاور حول القضايا المختلفة، تقوم العقول والتجارب المختلفة بمساعدة بعضها بعضاً، عند ذلك ستوضح الأمور وتقلّ العيوب والنواقص ويقلّ الانحراف. وفي حديثه عن وظيفة المشير، قال الشيرازي أنّه لا يحقّ لمن تكفل بتقديم النصح والمشورة أن يخون من استشاره، فلا يدلّه على ما هو الصحيح في نظره، مسلماً كان ذلك المستشار أو كافراً (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٢، ص ٧٥٠-٧٥٢ بتصرف، برقم الصفحة من الرسالة: ١١). ويوسع الشيرازي دائرة التناصح لتشمل النظام السياسي، من خلال التأكيد على أهمية الشورى كأسلوب من أساليب التناصح الجماعي، ويحدد مسؤولية المشير بالأمانة والإخلاص للنصيحة حتّى مع غير المسلمين، مما يُعكس شمولية الأخلاق الإسلامية في التعامل مع جميع الناس.

في المقابل، ذكر عند تفسيره للآية المباركة: (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَنْجَبَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (سورة المائدة: ٦٣)، أنّ القرآن الكريم يمارس أسلوب الدّم الذي اتّبعه مع أهل المعاصي الحقيقيين، فيذمّ العلماء الساكّتين الصامتين التاركين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقبح صمتهم، وبالتالي، سيكون مصير هؤلاء وخاصة إنّ كانوا من العلماء كمصير أصحاب المعاصي (ناصر مكارم الشيرازي، ١٤٢١هـ ج ٤، ص ٧١، برقم الصفحة من الرسالة: ١١). ويحدّر الشيرازي من خلال هذا النص من عواقب السكوت عن المنكر، خاصة من قبل العلماء الذين يتحملون مسؤولية أكبر في المجتمع، مما يُعطي التناصح بُعداً رقابياً ونضالياً ضد الانحرافات الأخلاقية والاجتماعية.

المطلب الرابع: التحليل المقارن والنتائج

يُعدّ التناصح الاجتماعي من الركائز الأساسية في بناء المجتمع الإسلامي المتكامل. تبحث هذه الدراسة في المقاربة التفسيرية لمفهوم التناصح بين سيد قطب في (في ظلال القرآن) والشيرازي في (الأمثل)، مع التركيز على الجوانب التوحيدية والنضالية لهذا المفهوم. وبعد استعراض المظاهر التوحيدية والنضالية في التفسيرين، يمكننا تقديم تحليل مقارن شامل يكشف عن نقاط الاتفاق والاختلاف بين الرؤيتين.

أوجه الاتفاق بين المفسرين

- التناصح ركن أساسي في الإسلام: اتفق المفسران على أنّ التناصح ليس وصية أخلاقية عابرة، بل هو نظام اجتماعي متكامل يُعنى بمراقبة السلوك وتوجيه الجماعة، ويسهم في حماية النسيج الاجتماعي من التفكك والفساد.
- الشمولية: اتفقا على شمولية التناصح ليشمل جميع مجالات الحياة، من الأسرة (كما في آية النشور عند قطب، وآية تربية العائلة عند الشيرازي) إلى المجتمع إلى النظام السياسي (كما في آيات الشورى عند كليهما).
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أكدّا على أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر الآلية الرئيسية للتناصح، وأنه واجب ديني واجتماعي، كما في تفسير قطب لآية (كنتم خير أمة) وتفسير الشيرازي لآية (ولتكن منكم أمة).
- المسؤولية الاجتماعية والجماعية: ربطا بين التناصح والمسؤولية الاجتماعية، وأكدّا على أنّ إهماله يؤدي إلى العقاب الجماعي كما في قصة عاقر الناقة (سورة الشمس: ١٤) عند قطب (برقم الصفحة من الرسالة: ٨)، وذم العلماء الساكّتين عند الشيرازي في قوله تعالى: (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ) (سورة المائدة: ٦٣، برقم الصفحة من الرسالة: ١١).
- الموعظة الحسنة والرفق: اتفقا على أنّ الرفق والحكمة هما الأساس في تقديم النصيحة، كما في تفسيرهما المشترك لآية (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)، حيث أكدّا على تجنب الخشونة والاستعلاء.

أوجه الاختلاف بين المفسرين

أولاً: في المظهر التوحيدي:

- سيد قطب: يرى أنّ النصيحة أمانة إلهية (النساء: ٥٨، برقم الصفحة من الرسالة: ٨)، والتناصح واجب ديني (فاطر: ١٨، برقم الصفحة من الرسالة: ٨)، محذراً من إهمال التناصح؛ لأنّه سبب للعقاب الجماعي (الشمس: ١٤، برقم الصفحة من الرسالة: ٨). كما أكد على أنّ النصيحة حقّ

واجب على المسلمين، والموعظة الحسنة ضرورية (النحل: ١٤٥، برقم الصفحة من الرسالة: ٨)، وربط بين التنصيح والمسؤولية الجماعية (المائدة: ١٠٥، برقم الصفحة من الرسالة: ١١). ويتميز قطب بربط التنصيح مباشرة بمفهوم الأمانة الإلهية والمسؤولية الجماعية، مما يُعطي التنصيح بُعداً عقدياً وسياسياً عميقاً.

• **الشيرازي:** يرى أن التنصيح أمر ضروري حتى مع عدم التأثير (الأعراف: ١٦٤، برقم الصفحة من الرسالة: ٨)، وربط بين رفض النصيحة والشقاء (مريم: ٣٢، برقم الصفحة من الرسالة: ٨)، محذراً من ترك النصيحة عند استحقاق العقاب (الزمر: ١٥، برقم الصفحة من الرسالة: ٩). كما أكد على أهمية الرفق في النصيحة (النحل: ١٤٥، برقم الصفحة من الرسالة: ٩)، وربط بين التنصيح والتزكية الذاتية. ويتميز الشيرازي بتركيزه على الجانب الأخلاقي والنفسي للتنصيح، حيث يجعله وسيلة للتزكية والشفاء من الشقاء، مع التأكيد على استمرارية النصح حتى مع عدم تحقيق النتائج.

ثانياً: في المظهر النضالي:

سيد قطب: يعتبر التنصيح أساساً للعمل الجماعي، ووسيلة لعلاج الانحرافات الأسرية (النساء: ٣٤، برقم الصفحة من الرسالة: ٩)، وأن التواصي بالحق أساس للتماسك الاجتماعي (العصر: ٣، برقم الصفحة من الرسالة: ٩)، مؤكداً على التواصي بالصبر والرحمة (البلد: ١٧، برقم الصفحة من الرسالة: ٩). كما يرى أن التنصيح أمر ضروري في مواجهة التحديات، وربط بين التنصيح وقيادة الأمة (آل عمران: ١١٠، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠)، مؤكداً على الشورى كأصل نظامي (آل عمران: ١٥٩، الشورى: ٣٨، برقم الصفحة من الرسالة: ١١)، ومحذراً من السكوت عن المنكرات (المائدة: ٦٣، ٧٩، برقم الصفحة من الرسالة: ١١). وتتميز رؤية قطب بالطابع الحركي والتنظيمي، حيث يرى في التنصيح أداة لبناء الجماعة المؤمنة وقيادتها ومواجهة التحديات الخارجية، مما يُعكس تأثره بالظروف السياسية والاجتماعية في عصره.

الشيرازي: يرى أن التنصيح مسؤولية اجتماعية، حيث فسر الشفاعة الحسنة بأنها شكل من أشكال التنصيح (النساء: ٨٥، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠)، وأكد على الطابع الاجتماعي للتواصي (البلد: ١٧، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠)، وربط بين التنصيح ومنهج السعادة (برقم الصفحة من الرسالة: ١٠). كما أكد على أن في الأمر بالمعروف غطاءً وقائي (آل عمران: ١٠٤، برقم الصفحة من الرسالة: ١٠)، وأكد على الطابع الكفائي والعيني للتنصيح، وربط بين التنصيح الأسري وإصلاح المجتمع (برقم الصفحة من الرسالة: ١١). كما أكد على أهمية الشورى في النظام السياسي (آل عمران: ١٥٩، الشورى: ٣٨، برقم الصفحة من الرسالة: ١١)، محدداً مجالات الشورى وحدودها، ومحذراً من عواقب ترك التنصيح (المائدة:

٦٣، برقم الصفحة من الرسالة: ١١). وتتميز رؤية الشيرازي بالطابع الفقهي والتطبيقي، حيث يُفصل في الأحكام والمراتب (العيني والكفائي)، ويُقدّم حلولاً عملية مفصلة، ويُولي اهتماماً كبيراً للجانب الأسري والتربوي، مما يعكس خلفيته الفقهية والاجتهادية.

الخلاصة النهائية

لقد اتفق المفسران على أنَّ التناصح ركن أساسي في الإسلام، واتفقا على شموليته، وأكدّا على أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر آلية رئيسية للتناصح، وربطاً بين التناصح والمسؤولية الاجتماعية والجماعية. وبالتالي، يوجد تقارب في المبادئ الأساسية للتناصح بين التفسيرين، مع اختلاف في المنهج والتفصيلات، حيث يُقدّم قطب رؤية حركية شاملة ذات بُعد عقدي سياسي، تركز على أساسية التناصح للعمل الجماعي وقيادة الأمة ومواجهة التحديات، مع التحذير الشديد من السكوت عن المنكرات. بينما يُقدّم الشيرازي رؤية فقهية ذات بُعد تطبيقي مع تقديم حلول عملية مفصلة، تركز على الرفق في النصيحة، والتركيز الذاتية، والطابع الكفائي والعيني للتناصح، مع تحديد مجالات الشورى وحدودها، والتأكيد على أنَّ للتناصح غطاءً وقائياً للمجتمع. ويمكن القول إن اختلاف الرؤيتين يعود إلى اختلاف الخلفية الفكرية والزمنية لكل مفسر، حيث تأثر قطب بالحركات الإسلامية المعاصرة وظروف الصراع السياسي، بينما تأثر الشيرازي بالمنهج الفقهي الشيعي والاهتمام بالتفاصيل التشريعية والتطبيقية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م.
الخوئي، محمد، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الخوئي الإسلامية، قم، إيران، ط١، ١٩٩١م.
دوركهايم، إميل، في تقسيم العمل الاجتماعي - ترجمة د. حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٣، ٢٠١٠م.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان داودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٩م.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الهداية للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط٧، ١٩٨٣م.

سيد قطب، إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٤هـ.

- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم المقدسة، ترجمة وتلخيص: آذرشب، محمد علي، ط١، سنة ١٤٢١ هجري قمري.
- الصدر، محمد باقر، المدرسة الإسلامية، دار التعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م.
- عبد الهادي، نبيل، المدخل إلى علم الاجتماع، دار المسيرة، عمان، ط٢، ٢٠٠٤م.
- الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩ هـ.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٨م.
- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط٤، ١٩٨٨م.
- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم، إيران، ١٩٩٣م.



دانشگاه مجازی المصطفی